خيبة سراقة

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

[وقف « سراقة » مبهوتاً فى طريقه إلى غار ثور متقفياً أثر المصطفى وصفيه الصديق ... ساخت قوائم فرسه فى الرمال ، وردته معجزة العنكبوت حيران الضلال ... *]

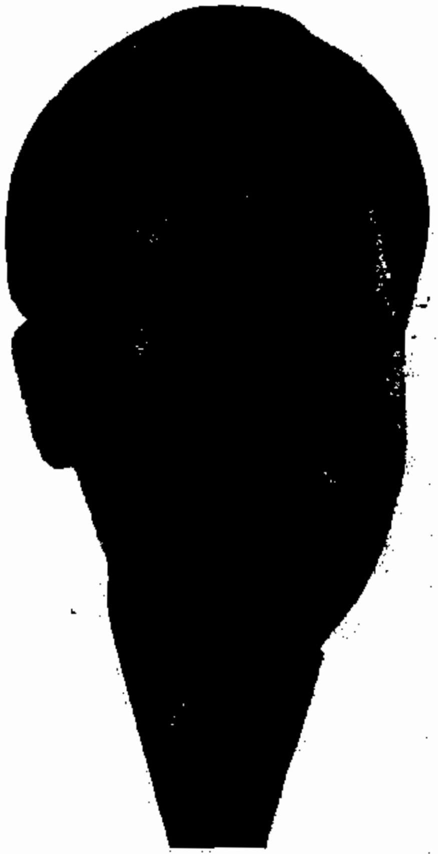

سراقة يحدث نفسه :

وَيلاهُ مما سَطَّرتْهُ الرمالْ آثارُ وَهْم فى مَتَاهى خَيالْ ...
أرَكْبُ جِنٍّ حين مَلَّ الشُّرى فى عالم الناس ، توارَى ومال !
أمْ مَوْكِبٌ للنور أقدامُهُ خَلّفْنَ فوق الأرض رُؤيا زوال !
أمْ قافلاتُ الريح كانت هُنا تمشى ، وألقت رَحْلَها فى الجبال !
أمْ حُلُمٌ مرّ ، وَهٰذا الثرى وَادِى كَرًى نامت عليه الليال !
أمْ نَغَم سارَ وَأشباحُهُ مَسَّسْنَ صَدْرَ البِيدِ مَسَّ الظلال !
أمْ فارس للغيب عالى الخُطا جَوادُه المسحور تلك التلال !
جرى عليها وَهْىَ تجرى به كما جرى بالروح عصف الملال
سُبحان من علم أرْسانَهُ تَخَطُّفَ الوحْيِ ، وَبُعْدَ المحال
هٰذِى هَواديه ، وَذا خَطْوُهُ زَفْزافُ ريح طاردته الثمال
عدا جوادى خلفه ، فانظرى ياخَيْبَتى : كيف حططنا الرحال !
قوائم ينهش منها الثرى ما دسه لله غدر الرجال
مغروزة فى الرمل تلهو بها طرائد الوحش ، وريح الشمال
ناحت عليها صهوة طُهِّمَتْ وَطُمِّمَتْ باليأس قبل النضال
تذيبُ سَاقٌ بأفوافها كأنها مَحْشُوَّةٌ بالنِّصال
أحَرّ تحتى من جحيم اللظى وَوَجْزةِ الذلِ ، وَفَحِّ الصِّلال
كأنما قنا بِعُرْض الفَلاَ تمثالَ خزى عبقرىّ المثال
رباه ما هذا ؟ جواد سرى أم لعنة ، أم خيبة ، أم ضلال !

« سمفونية » الغار

يسمع الغار حديث سراقة لنفسه فيتلاقى هتاف المنكبوت والحامتين والثعبان فى هذا النشيد :

سَماءَ البيدِ بُشْرانا « سُراقَةُ » عادَ حَيْرانا
أتى وَالكفر يرعاه ونور الله يرعانا

أتى ليصد أنوارا فجَرْنَ البِيدَ أنهارا
فصد الله مسعاه وَذَاقَ الذُّل والعارا

بسَيْفٍ كافر ظَلاَّمْ جرَى لِيطارِدَ الإسلامْ
هَتَفْنَا إذ رَأَيْنَاهُ رَماكَ اللهُ بالإظلامْ

فَعادَ يُقَلِّبُ الكفينْ كفيفَ القلب والعينين
ترى الأشباحَ عيناه وَيَسْأَلُ أيْنَ تَمْشِى أيْنَ ؟

وَلاذَ نَبِيُّنا بالغارْ فَحامتْ حَوْلَهُ الأقدار
وَصَانَ ضِياءَهُ اللهُ لِيَسْطَعَ مَشْرِقَ الأدْهار

(*) هذه بقية للمشهد الثاني الذى دار لحنه بين المنكبوت والحامتين والثعبان في غار ثور فى العدد الممتاز السابق لهذا من (الرسالة)